الجزء الثلاثون سورة الماعون

مكية — آياتها ٧

سورة الماعون، سورة مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أَيْ: أخبرني عن الذي يكذب بيوم الجزاء والبعث والنشور، وهذا حاصل في كفار قريش وغيرهم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وكانوا يستبعدون البعث بعد الإماتة ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦﴾ [الصافات:١٦].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»(١)، وعَنْ خَبَّابٍ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ. فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم:٧٧-٧٨](٢).

وقد جعل الله لهم من الدلائل الظاهرة، والآيات القاهرة ما تدل على أن الله لا يعجزه أن يعيد الإنسان بعد الإماتة كما أنه لم يعجز عن البدأة، كما قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان:٢٨]، وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس:٨١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أَيْ: أن الذي يكذب بالدين والبعث والنشور هو الذي يدفع اليتيم وينهره، ويظلمه، ويقهره، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى:٩]، وعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا(١). واليتيم هو الذي مات أبوه، فيحتاج إلى رعاية وعناية؛ فإنه يعيش مكسور القلب، فقير البدن، بينما هذا المجرم يدفعه ويطرده.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ومن صفات هذا المكذب بالدين أنه لا يحض على طعام المسكين، لا يأمر بالصدقة على الفقراء والمحتاجين، وإذا كان لا يأمر بذلك فهو لا يعطيهم من باب أولى، فيا أيها المسلم حض على طعام المسكين، وابذل في أوجه الخير تلقاه عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٢).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في معنى هذه الآية ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر:١٧]، حقًا إنكم لا تكرمون اليتيم يا معاشر الكفار ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [الفجر:١٨] ولا تأمرون بالإنفاق على المسكين.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ إخبار بعذاب أليم لصنف من المصلين، الذي يصلون ولا يأتون بالصلاة على وجهها؛ إما بعدم إحسان ركوعها وخشوعها ووضوئها، وإما بعدم الصلاة في وقتها، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾ [النساء:١٠٣] وإما بالمراءة فيها. فالناس في باب الصلاة أصناف:

الأول: أهل الإيمان الذين وصفهم الله جَلَّجَلَالُهُ بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون:١-٥] الآيات ، ويصلون كما صلى رسول الله ﷺ، ويأتون بها على الوجه الذي يرضي الله جَلَّجَلَالُهُ وحالهم كما قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

الثاني: من قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠).

﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢] وهؤلاء هم المنافقون الخلص، قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»(١).

الثالث: من يصلي ولكن لا يحسن، كما رَأَى حُذَيْفَةُ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: «مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا»(٢).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»(٣).

الرابع: لا يصلي بالكلية، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم:٥٩]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(٥).

ومن قبيح الاستدلال قول بعضهم حين تقول له: صل!، يقول لك: قال الله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ وهذا وقف قبيح، وإنما: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ﴾ أَيْ: من صفاتهم أنهم ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾. قال بعض السلف: الحمد لله أنه لم يقل في صلاتهم ساهون. فإن السهو في الصلاة يقع، وقد وقع من النبي ﷺ، ويقع من غير النبي ﷺ، ويجبره سجدتا السهو، ولكن السهو عن الصلاة هو المذموم؛ لأن الساهي عنها هو المفرط والمضيع لها.

وإذا تأملتم حال الأمة تجدون أن أغلب الناس في هذا الحال، يصلي متى أراد ويترك متى أراد، ويصلي بالهيئة التي أراد، بينما العبد مأمور أن يصلي في أوقات معلومة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣].

ومأمور بالمداومة عليها، وعدم الانقطاع عنها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج:٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج:٣٤]، ومأمور أن يصلي كما صلى

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٧٩١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٤).
(٤) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه مسلم (٨٢)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

النبي ﷺ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(١).

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ أَيْ: في صلاتهم وفي جميع أعمالهم، والرياء ذنبه عظيم؛ لأنه شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والناس فيه منقسمون إلى قسمين:

منهم من يكون شركه شركًا أكبر مخرج من الملة، ومنهم من يكون شركه شركًا أصغر يحبط العمل الذي دخله. والفرق بينهما: أن صاحب الرياء الأكبر أصلًا لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يعتمر، وإن وقع منه هذا إلا من أجل الناس لا يريد الله، ولو كان وحده ما صلى ولا صام ولا حج ولا اعتمر، لكن لمصالح دنيوية ربما صلى وحج واعتمر وصام، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦].

وأما النوع الثاني: وهو الشرك الأصغر، فيدخل الرجل في الصلاة لله عَزَّوَجَلَّ، ويتصدق ويحج لله، لكن إذا رأى الناس ينظرون إليه أظهر لهم ذلك وأحبه، فتدخل المشاركة في العبادة، فإن كانت العبادة متصلة ولم يحارب الرياء بطلت العبادة، وإن دافع الرياء فعبادته صحيحة، وإن كانت العبادة منفصلة بحيث صلى ركعتين لله عَزَّوَجَلَّ وراءى في ركعتين تبطل التي راءى فيها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ**»(٣). والرياء شأنه خطير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) متفق عليه، البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

وليس من الرياء أن المسلم يعمل العمل الصالح ثم يُشكر عليه، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»(٢)، وإنما يحبب الله المؤمن إلى المؤمنين، فيثنون عليه بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦].

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ أَيْ: ومع مراءتهم بالأعمال يمنعون الماعون وقد جاء أنه الزكاة الواجبة، وجاء في معناه أنه القدر، والمسحة، والملعقة، ومثل هذه العاريات التي تقع بين الناس، وذهب عكرمة إلى تفسير الماعون بالزكاة والقدر وما في بابه، وهو تفسير جمع بين الواجب والمستحب، فلا بأس به، وهو اختيار ابن كثير.

فتضمنت هذه الآية الإخبار عن أمرين، أَيْ: أن المكذبين الذين ضيعوا حق الله وحق الناس، **فقد أوجب الله عليك حقين:**

١- حق له، وهو إفراده بالعبادة.

٢- وحق لغيره، وهو الحقوق التي بين العباد: من حق الوالدين، والأرحام، والجيران، والفقراء، والمساكين، فينبغي لك أن تؤدي الحق الذي عليك لله عَزَّوَجَلَّ، والحق الذي عليك لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ حتى يستقيم حالك الديني والدنيوي، والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).